سركون بولص

الحافة

١. روابط خاصة غير متينة

كان داود عبد المسيح (في الثالثة والثلاثين ، بدلتان ، وزوجان من الاحذية ، وثلاثة اربطة للعنق ، وعم واحـــد ، وابن واحد ، وتهدل في زاوية فمه اليسرى لانه يضع السيجارة – منذ ان بدأ يدخن في الرابعة عشرة – هناك دائما) مع الفتاة عندما فتـح الباب وفوجىء ، بوجهه الذي نبش التوتر قسماته ، وهو يحاول ما كان يحاوله . ولم يكن قد فعل شيئا ، تقريبا ، عندما ساقوه الى البيت واقنعوه ، تحت تهديدات بالسجن مشار اليها خفية ، بان يتزوج الفتاة . وهذا ما فعله ، ولكن ذلك حدث منذ تسع سنين . وهو اذ يراقبها الآن (غير ما كانت عليه ، جلد يتغير باستمرار ويتغذى بجاسة خشنة هي ابعد ما تكون عن الانوثة ، ونشاط رتيب يسير وفق الموقف والوقت والحاجة) يشعر بغيظ لانه لم يغتصبها . والواقع انه كان في الايام التالية لذلك ، ابعد مـا يكون عن الفكرة . وافق بخضوع ، او الاصح بقليل من التظاهر بالطيش . ولكنه كان يشعر بالفضول لخوض تجربة ناقصة ذات حدين : فعل لا شرعي يصـير شرعيا . ولكن بين الحالتين كان هناك فراغ يرشح بالحيرة . وهذا ما كان يبقيه ذاهلا احيانا . لم يعرف قط ماذا كان محتملا ان يحدث . وربما كان هذا هو السبب في انه كان ينام معها وهو يحس دائما بانه مطلوب في المكان آخر ، وبالحـاح . على انه كان موزعا ، كقنينة تقتسمها عدة ايدٍ . حتى رأى وجهه ذات يوم في المرآة . كان وجها خاصا برجل يمضي حياته كلها وهو يعطي انطباعا اينما حل بانه لم يحلق ذقنه جيدا ، دائما ذقن غير حليقة . ورجل يبدو عليه انه لم يتمم المراسيم الكاملة التي تخوله الخروج الى العالم : اي ذقن نظيفة. وهذا ما كان يبدو مستحيلا . ثم فتح ستوديو للتصوير الفوتوغرافي (كان يرتعش تحت وطـأة المغامرة لذة وقلقا) بعد ان اخذ يشعر بانه فريسة للعمل المرهق الطويل الذي كان يؤديه ، والذي اصبح اخيرا ، وقبل فتح الستوديو باسابيـع ، كابوسا . والتقط صورا لزوجته وابنه الصغير وعمه ووضعهـا في الواجهة ، وصورة لزواج احد اقربائه البعيدين . ثم اخذ ينشغل ، مبهورا باكتشاف مبادي : ان اي شيء (فتح ستوديو او مقهى او) يجد جمهورا مجهولا ولكنه موجودعلى

الدوام . وهكذا خلقت هذه العملية السحرية الاتصال بينه وبين اناس يحملون وجوها لم يرَها حتى في احلامه . واستأجر رجلا كهلا كانت الاحماض قد شوهت اصابعه وعنقه وعينيه (اجفانه بالاخص، كانت تحيط بعينين زرقاوين باليتين كاربع حراشف من جلد)، ثم دفنه داود بيديه بعد شهر واحد فقط (لم يقبض الرجل حتى راتبه الاول) . لم تكن له اية عائلة او قريب او حتى بيت . كان يعيش في فندق ، وكثيرا ما ينتقل من فندق الى آخر . ونسيه داود بسرعة بعد ان حزن عليه قليلا . ولكنه صدم عندما راودته فكرة ان المصور الميت لم تكن له صورة ، وهذا شيء مضحك ، ولم يحدثه عن محـــل للتصوير افتتحه انفسه في يوم ما ، ولا عن اي شيء يضيء فترة ما من حياته ، بالرغم من انهما كانا يتحدثان في العادة . ثم حاول ان ينساه تماما عندما قال له صاحب الفندق انه يعرفه منذ مدة طويلة وان المصور معروف بشذوذه . وحين نظر اليه داود ، شاهد على وجه صاحب الفندق نظرة عجيبة . اراد ان يفعل شيئا سريعا فذهب بزوجته الى السينما . وفي الليل ارقدا الطفل في مكانه وحاول داود، كمن يخطو في منطقة غير آمنة ، عندما بدأت زوجته تخلع ثيابها ، ان ينظر الى جسدها وهي واقفة . عارضت ، ثم ضحكت بتوتر . ولكنه احس في اسفله بالشهوة تلبطه كموجة كبيرة من سائل صافٍ اخذ يمرر حركته في جسده المقوس تحت ثقل اشفاقه . واخيرا رسبت بقايا رغبته في زاوية ، في قاع مغمور بانعكاسات الماء . كانت زوجته ، التي تتخفى بحركة تشبه حركة نبات طويل يميل على عُقده واوراقه ، تحمل على وجهها تعبيرا من الشحوب والاشتهاء كان يرشح على بطنها وفخذيها ، وكأنها رغبة مترددة تمتزج باليأس وتتوقع فشلا مسموما . اشغل نفسه واندفـــع بسرعة نحو جسدها محاولا ان يغطيه بعناقه . واثناء تحديقه في عينيها البعيدتين ، كان يفكر بان ذلك يحدث دائما ، لانه في الاصل يريد ان يغطيها فيطبق باعضائه عليها في كل مرة ويحاول ان يمتزج بها لينسيها تلك اللحظة : وقوفها وحيدة وعارية على حافة السرير . ولكنه لم يستطع ان ينسى المصور الميت .

بالرغم من ان كل شيء آخذ بالتحلل . ببطء . الافعـــال تبدو حادة وبشعة في وقتها وقوعها . بل يبدو انه لا شيء له وجود غيرها ، تتنفس وتغطي وتتمطى . واحيانا يحدث هذا بشكل متهور وتهريجي ، ولكن التحلل يستمر ، الفعل ايضا يستمر ببطء ، كل شيء ببطء . لقد اخذ يذهل ، ويقف ويداه في الاحماض احيانا ، في ظلام غرفة خلفية ، على شارع ضيق ، في مدينة غريبة . وهذا بدوره يحدث ببطء . ويخرج نهارا . الغرفة الخلفية يغلق بابها محاولا ان ينفض عن ذهنه ، حتى في اثناء ركوبه الباص ، فكرة ان المصور الشاذ ، الكهل ، الميت ، لا يزال فيهـــا ، منحنيا على حوض مليء بمـــاء كيمياوي

لقبة بينهم . ثم دخلت عليه هذه الفتاة (او المرأة ؛ ترهل ذراعيها ، والتقوس المتهدل في استدارة ردفيها) ، وعرف بعد مدة انها تتعامل مع مصورين لاخذ صور عارية لها وبيعها في السوق السوداء . ومرت عليه ، فسمح لها بان تعرض جسدها الذي اشعره كان قد بلغ الفترة التي يستطيع فيها ان يحتفظ بتسلسل افكاره عن الستوديو وعملائه حتى مواجه بحضور زوجته العاري) بالرغبة في السفالة ، والقى به وسط يقظة شاذة كان فيها يختطف صورا وكلمات وتفاصيل واشياء (كرأس قرد من المطاط الحيانا ، او تقضم رأس سمكة) لا علاقة بينها . وباب غرفة الستوديو المغلق ، في الاعلى ، ووجهها في صدمه فيه الشحوب المراهق الذي كان ينتشر على جلد زوجته ايضا حين كانت عارية ، كذلك ، على حافة السرير ، كمخلوقة بدائية تنتظر على حافة نهر لتهبط فتسبح . ولكنه ان نهض واخذ يشعر بالكراهية لها طلب منها ، بحقد ، ان تعيد خلع ثيابها التي كانت ارتدت نصفها . واعد كاميرا صغيرة لالتقاط صور لهـــا وهي عارية . واحتفظ الصور في كتاب اجنبي عن الفن الفوتوغرافي لم تلمسه بعد (ومن يفعل) يد احد غيره . يكرر ذلك ، وكانت بغيا طبيعية ثم اخبرته بانها كانت تعرف المصور الميت (« لا لا لا » ، عندما رأته يعي فجأة . وأزالت وهمه ، فالمصور العجوز كان يهيء لها « فرصا » : فهو معروف ـ « بماذا ؟ » قال داود . وحدق فيها بقسوة) . ضحكت (كان هو الذي عرفها بداود) ، وحين نهضت ، نظر اليها نظرة عوضته عن التلفظ بكلمة « بغي » في وجه البغي التي اشعرته بشيء اخذ داوه ، فيما بعد ، يبحث عن حقيقته لاول مرة . وامتلأ فظيع بعد مدة ، كما تمتلىء الغرفة الخلفية بروائح الاحماض الى حد غير محتمل ، ثم يجيء بهيار من الوعي ينير داخله ثم يتكوم هناك ، متيحا له فرصة طويلة في ان ينبشه باستمرار وينفضه في داخله كمادة جيرية تضيء حالما تحرّك . لماذا كان ، ماذا كان يفعل في الستوديو ؟ كان يقوم فيه بعمله ؛ ولكن الرغبة آخذة بالتحلل . والعمل نفسه يغدو هربا . الاحماض سامة تدخل الى مسامات جلده فتوقظ دمه في ارتعاشة غريبة . اخذ يبتعد عن ابنه الصغير ، وينظر الى محاولاته المتكررة للارتفاع (الستوديو ، المذخرات التي اخذ يشغل بها : ولكن الارتفاع الى اين ؟) وكأنه ينظر من الخارج الى سحلية مقلوبة تحاول النهوض . تستطيع دفعة واحدة ، ولكنها تشغل نفسها بحركات جانبية صغيرة لا هدف لها ؛ واذا نهضت فالى اين ايضا ؟ كان هذا هو الفراغ الذي يرشح بالحيرة . ولاول مرة اخذ يتوغل في منطقة جوها شبيه بجو الغرفة الخلفية . مع حركات يديه وهو يعمل ، الادراك البطيء الذي ينشر نفسه في داخل رأسه كطبقة من النسيج . في جميع علاقاته بآخرين يعملون ، لذلك يبدون واضحين جدا الآن) وفي محاولاته جميعها وفي كل شيء فعله حتى الآن كان يجرب الوصول الى ما لا يعرفه الآن الا بغموض . وحين وقف في المرآة (تلك المرة) ،

شخصا طويلا غير مهم في نظر اي كان ، لاحظ ان له اسنانا نظيفة . ولرعبه من التسلسل المشدد الذي اصبح لافكاره اخذ يضاعف تدخينه . ورأى زوجته (كان مريضا ذات صباح خريفي واخذ ينظر من النافذة الى الخارج) تعود من السوق ؛ امرأة تتغطى بملابس بيتية وفي ساقيها شعر طفيف لا يلحظ الا من قريب ومن يدها تتدلى سلة للتسوق تجر معها جزءا من كتفها الى الاسفل وتجعل احد نهديها اوطأ من الآخر . حاول ان يخرج ، لاهثا ، ولكنها كانت قد دخلت . ولم ينظر اليها . وخرج في المساء وهو يشعر بانفصال اجباري من الجميع (ربما لانه كان واثقا في باطنه بانه يعيش بينهم الآن بصفة مجهول) . وكانت اسنانه نظيفة ؛ واي رجل له بدلتان ومنخرات قليلة مثله وملابسه الداخلية مصنوعة بيدي زوجته او اخته ، سيضحك ، واقفا دائما في زقاق ما او باب دار مؤجرة ، باسنان نظيفة لا حد لنظافتها ، لانه لم يأكل الى حد ان يكون لاسنانه عالمها الخاص من الاطعمة والانشغال بالتهيؤ لملاقاة مذاقاتها جميعا في مواعيد الاكل . (« جن ، جن ! » سيقولون . ليفعلوا) . واستمر يدخن ويرى نفسه يأكل خضروات معروفة بالنسبة لجميع البشر في العالم واطعمة لا تتجاوز الانواع الثلاثة التي تتعرف عليها معدته سنة بعد اخرى ، ولذلك تبقى اسنانه نظيفة وخالية من الديدان . ولم لا ؟ وخيل اليه انه يرى حياة كاملة في لحظة غضب ويأس . وشعر بيقين تام بان جسده له الحق في ان يتحول ، ولكنه لا يتحول الا نحو الاسوأ : يشيخ ويتجعد ويجف . ولكن من الممكن (فكرة اقلقته بعمق) ان يتحول بشكل آخر ويغير بذلك كل شيء : واذاً فلن اكون عندئذ (نتيجة لذلك) موجودا في هذا الستوديو بل في مكان آخر . كان ذلك ممكنا جدا . هرب ، وذهب الى سينما في النهار . ثم انتابه شعور تحول الى مرض . وبقي في الصباح يراقب من سريره المرأة التي كان قد حاول مجرد محاولة ان يغتصبها ذات يوم . الا انه اطبق ، كما يطبق غلافي كتاب ، شقتي ماضيه وحاضره : الاغتصاب الذي لم يحدث التحم بالصلة الجديدة بالمرأة التي تحمل معها آثار محاولته ، اي بالزواج . وفي اعماقه الجاهلة التي كانت تغلي بالحقارة آنذاك ، كحساء رخيص ـ ماذا كان يحدث ؟ وبثقة (ومع تدخين شره مستمر رغم مرضه) : « كنت اريد ان اخترق هذا الجدار الذي يقف في وجهي بطوله كله ، لا غشاءً » . ادان نفسه . واخذ يضعف . وفي فترة قصيرة استحال الجدار الى صوت : كان حاجز من الماء موجودا باستمرار بينه وبين نفسه ، بينه وبين الزوجة ، بين الابن ، بين السرير ، بين النسخة التي تعيش في ذهنه عن المصور الميت . « اردت ان تغتصب ، ليس لحمها الابيض المراهق في ذلك الحين ، ولكن اللحم الذي يؤكل الآن من قبل افواه اخرى غريبة عنك . تغتصبه ويكون لك بذلك الحق في ان تعلن وجهك وتسير في الشوارع المضاءة » . ولكن صورته (رجل متوسط العمر ، مريض في غرفة عائلة صغيرة بدولابها وكراسيها وصورها

المقدسة) جعلته يتقيأ . ثم دخل مستشفى . وحين تحسن اكتشف ان جميع ممرضاته بغايا منظمات بشكل متفاهم عليه من قبل الجميع . ولم يلاحظ ان المستشفى غارق الى نصفه تقريبا في الارض (قريب من النهر ، ولكنه جاف المظهر وكالح جدا) وانه كان اصطبلا للخيول في العهد العثماني ـ الا يوم خروجه .

٢ . الشطرنج

قبل ان يموت عمه باشهر ، اخذ داود يتردد عليه عدة مرات في الاسبوع . ويجلس قبالته ، محدقا في مربعات الشطرنج التي تحرك عليهـا اصابعها وزيرا خشبيا او فيلا او جنديا عاديا . ويموت جنود الشطرنج بكثرة ، فهم لا يستطيعون الحركة الا نحو الامام . ويقتلون بحركة انحرافية نحو الشمال الشرقي او الشمال الغربي . وفي هذه الحدود ، كان مصيرهم معلقا بهجمة عمياء من فيل خشبي يندفع من سكونه فجأة،او من حصان يتحرك، ناظرا الى الاعلى ، في نصف مستطيل من المربعات ، ويهوي على ما يصادفه فيقتله . والعم كان يهيء الشاي بنفسه حين لا تكون المرأة القصيرة موجودة . وبينما داود ينظر الى المرأة ، كان يحس بانه يتنفس في نهاية شفقة دبغت داخله وانهكته حتى وجدت لها منفذا. ولان الرجل(كان وجه الشبيه بقفل كبير ينحني في غيبوبة مرضية تحت صورة له ولاخيه ـ عبد المسيح ، والد داود ـ مع رقيب انكليزي اشقر ، يرتدون ملابس الحرب) كان يحتفظ بهذه الثغرة في حياته باستماتة ، ويماطل ويتكدر وجهه فيطفو فيه عناد حياة كاملة حين يذكر الموضوع امامه ـ فقد فضل داود ، بل رأى الا احتمال هناك غير ذلك ، ان يتجاهل وجود المرأة . من كانت ؟ لا يهم . ولا بد انها كانت تامة الغربة ، والا لما ربطت وجودها به بهذا الخضوع. وتمر صامتة، خفيفة الوطء دون ان تلقي ظلا على الرجلين الجالسين امام مصغرات خشبية لحيوانات تضطجع على ظلالها المسائية الدقيقة . ومع حركة يده ، كانت عينا داود تشعران ، اذ تتحركان في داخل رأسه ، بآثار الماء والصابون حول اجفانها الرخوة التي بدأت الاحماض تؤثر عليها اخيرا. ويهبط شيئا فشيئا الى الوهدة التي يجاهد ان ينسى وجودها بصورة تامة . ولكنها حاضرة ؛ فارغة ، تنتظر ان تمتلىء. وملأتها فجأة : صورة الرجل الجالس امامه مع المرأة القصيرة ، في هذا البيت المتشبث باقدام المدينة . كان عمه ، بواسطة المرأة ، يحتفظ بارتباطه مع مصدر مجهول لعله المصدر الوحيد الذي يمنحه المقاومة في وجه المرض والعجز : كانت المرأة دليلا يستدعي القلق ، واحيانا العار ، ويفرضها على الناس الذين ينظرون اليه : رجل عجوز يحتفظ بامرأة غريبة في بيته بصورة مشبوهة . ومع حركة مائلة لفيل يجري حتى حدود لوحة الشطرنج كالاعمى ـ « انه يغتصب الركود المفروض على حياته التافهة ، بواسطة هذه العلاقة غير

الشرعية » – نظر اليه الآن بارتياح ، « نفس ما كنت اريد ان افعله . لقد اغتصب فجوة في جسد من الحجر ،وجعل منه ملجأه الذي يتشبث به ويختلس منه النظر الى العالم المخيف، كجرذ يطل من ثقبه على قطة عدوة » . وفكر داود بيأسه الذي داهمه ، وبالستوديو . اصبح يقينا ان هذه الرابطة المشتركة بينهما (بينه وبين عمه) ، هذه الحاجة الى نوع خفي من الشر ، هي ضرورية وترتبط في جذورها (كاد يشهق حين اصطدم بالفكرة) بالجنس . وايضا : ان هذه هي العلاقة الايجابية الوحيدة ، طالما ان كل ما عداها معناه ان لا تفعل شيئا ، اي شيء . فان تفعل شيئا هو ان تغتصب . اخذ يشعر في النهاية بانه مذنب ، لماذا ؟ وبصمت ، ينظر الى وجه الرجل الجالس امامه، وينهض فيضيء المصباح. مذنب ، يشعر بانه ينتظر ان تفرغ كمية الدناءة التي يحس بها تملأ قاعه السفلي كالزيت . وكالزيت،هي التي تمنحه الطاقة على هذا الانتظار. ولكنها لن تنفذ، طالما ان الشيء الذي يفجر هذا الزيت الكثيف في داخله لم يتحقق وبذلك لم يستنفد نفسه . لم يحدث شيء ما ، ومهما حدث ، يبدو انه لا شيء يغير شيئا . واذاً فقد كانت الحاجة عنيفة . ولعلها (كيف ادري ؟) هي نفسها التي دفعت اليّ بسعاد المتعرية لمصوري السوق السوداء . وهي نفسها التي تفرض هذه المرأة المجهولة على عمه المريض . ونهض من مكانه . وبينما كان يهبط من باص مهجور كان فيه رجل شاحب جدا يتقيأ تحت مقعد مقابل ــ كان عمه يموت بهدوء قبالة المرأة الصامتة التي كانت تحاول ان تشفيه بارادتها ، وقد تجمّع جسمها الذي بدا صغيرا وخائفا على حرف السرير . وبدأت تطوف حول رأس المريض روائح رجل ميت .

٣ . طيور و زجاجات بيرة

الماء ، وكان رأسه قد طفا فوق مستوى الماء لحظة ثم غاص وارتفع ثانية ، هذه المرة بجمجمة شبه عارية ، لان الشعر بدا خفيفا جدا كقطن منسول حينما ابتل . وظهرت الجمجمة كيقطينة فارغة تطفو في الماء . وعلى الرمل اخذ الصبي يركض فجأة . وكان قد القى بالقرد الصغير المصنوع من البلاستيك على حافة البحيرة فاخذ القرد يترنح في الماء ببطء كجثة غريق . وسبح عمه طويلا . وبالرغم من نحافته فقد كان قويا . وحين هبطا الى الماء لاول مرة ، شهقا بقوة . ثم اندفع الرجل العجوز مع موجة كبيرة ارتدت من الشاطيء نحو الداخل ، . وكأنما تمشط الماء يد باردة منفية عن الوجود . ووضع داود عينيه مع المستوى الغامض الذي كان يميل حتى حدود السماء كقطعة واحدة من مادة سائلة شفافة ؛ ثم غمرها ببطء ، ببطء ، ببطء ؛ وانحسرت عنه المياه بحركة مفاجئة حين ارعبه الصمت التام ، المطلق في داخل الماء . ونظر . كان الرجل الآخر قد ابتعد

عبر الماء محركا ذراعيه بتراخٍ ، ورأسه لا يكاد يرتفع عن السطح ، ثم حاول ان يعود ولكن رأسه ظل طافيا كما في السابق لحظات ، ومن الواضح ان رجليه كانتا تجذفان في داخل الماء ليبقى طافيا فيريح بذلك ذراعيه. ثم خرج الرجل العجوز من الماء واضطجع فوق ظهره وهو يحدق في العلاء ويتنفس بصعوبة. كانت بالقرب منه زجاجات بيرة فارغة. وتحت ظل السيارة طيور مائية تنتهز فرصة غيابهم لتأكل بقايا الخبز والبيض والفاكهة التي كانت لا تزال فوق المفرش المنشور على الارض. وقال الرجل العجوز لداود : « عندما كنت اتضور جوعاً في شبابي ، لم اكن احلم الا بان اسبح ، واسبح ، واسبح ، ولا انتهي من السباحة » . وسعل بضعف ، ولكن وجهه كان يضحك بصمت وقد جف الماء المالح على جلده فاعطاه بذلك لون فاكهة فجة . وظهر الصبي قربهما ، ثم اندفع وهو يصيح نحو كومة الطيور البيضاء التي كانت منشغلة تحت ظل السيارة. وطارت ثم هبطت باجنحة مفتوحة على حافة الماء . وكانت طيور اخرى تحلق على بعد قليل من الحافة ، وبعضها يصدر عويلا غريبا . واشار ابنه فجأة الى شيء يطفو فوق السطح ، ويبتعد ببطء شديد مع انحسار موجة . وقال وهو يقفز : «القرد . القرد » .

سبح داود ورأسه طافٍ ، والماء يغطي جسده حتى العنق ـ في نصف دائرة وهو ينظر طيلة الوقت نحو الدمية الفارغة التي كانت تطفو كمهد طفل مستسلمة للماء. واقترب منها وقد شعر بقواه تضمحل . ودخل انفه ماء فاشعره بالتشنج . وكانت اللعبة طافية على ظهرها ، وقدما القرد تشيران باصابعها المطاطية المتلاصقة نحو السماء وبين ذراعيه اكورديون يتصل بتكوينه المادي نفسه ؛ ملتصق بيديه ، وفي نفس الوقت يمثّل صدره. وكان القرد يعزف وعيناه الحزينتان (اللتان لم يكن داود يراهما بل يتخيلهما بينما هو يحفر براحتي كفيه تربة الماء الرخوة الثقيلة) كانتا تنظران الى الله دون ان تعبرا عن شيء وكأنه يريد ان يريه نفسه الغارقة دون ان يستنجد به ، دون ان يعترف بغرقه: كانت هذه الصورة ملء اعصابه التي كانت ترشح الآن ، بخوف جاف جعله يفكر بان يصرخ . ولكن الرجل العجوز كان بعيدا ، ضائعا في حدود الماء . وبعد قليل كان يدفع امامه القرد الذي لا يزال يعزف لحنه غير المسموع . ثم قلبه داود على وجهه في الماء واخذ يدفعه امامه بمهل. وصدمته الفكرة الثانية ، فقد كان الايحاء قويا ؛ كان القرد قد كف عن امله في آخر الامر ، واخذ يحدق بعينيه في اعماق البحيرة ـ ربما ليرى القاع ، وقد قلب ظهره القصير للسماء واستسلم للموجة التي كانت تحمله ، ووضع ثقته المتبقية في اكورديونه الصامت الذي كان يجعله الآن يطفو بانحراف . واستلقى داود على الساحل وهو يشهق بقوة كانت تجعل جدران حنجرته تلتهب بالهواء المار الى الاسفل حيث رئتاه المتشنجتان .

وتناول الصبي قرده المبلل واخذ يمسحه بجسده العاري وهو يقهقه . وعلى حين غرة

كان الحيوان الصناعي المفرغ من الحياة قد تلبس نفس حالة الرجل العجوز الذي كان يضطجع على الرمـل هادئا ، موحيا بان الموجة القادمة ستكتسحه ثم تجرفه معها كدمية فارغة من المطاط. ولم يستطع ان ينفس عن الرغبة التي راودته في الصياح باقصى انفتاح لفكيه ، للماء ، والطيور ، والشمس ، والحافة ؛ دون هدف ، دون هدف ، مجرد ان يصيح ويتقلب في الماء ولا يعود ابدا الى الفاصل الذي كان يقدم اليه الامان دائما: حافة اليابسة. كانت هي المرحلة (او، ماذا هي؟ حد؟ وهل هناك حدود في هذا الفراغ؟) التي يقف فيها الآن، غائصا في زيتها حتى صدره ؛ عدم الاهمية بالنسبة لكل مـا هناك، عدم الاهمية مهما سبح، وتحدث، وعمل، واكل، وشرب، ويئس. وكان عمه قد ترسّب في هذه الحالة طويلا، ولاخذ يطفو على سطح ايامه الباقية كفلينة لا اهمية لها، تترجح حسب تموجات السطح وتبقى طافية حتى ينحسر الماء ويرسب بها الى القاع الذي يبقي وحده بانتظارها ، صلدا ولا شيء آخر بعده . وحين ارتدى ملابسه كان الرجل الآخر قد نهض ومشى نحو السيارة كشبح خفيف من الجلد ، واخذ يتحدث مع الصبي باهتمام . وفي طريق العودة خطر له ان هذه الحالة التي يعيش فيها الآن هو وعمه ، وكان يعيش فيها المصور الميت ، وتعيش فيها زوجته ـ هي نفس الحالة التي اتخذها القرد حين يئس من عزفه الذي لا معنى له ، ورقد على وجهه الضيق وهو يبحث بعينيه عن الارض البعيدة الكامنة تحت كتلة المياه . ولكن عمّ يبحث ، وهو في هذه الحالة التي كف فيها حتى عن الرغبة ؟ لم يكن يعلم . وعزم على ان يحاول القيام بنزهات اخرى في المستقبل للسباحة في البحيرة .

ولكن اين يسبح عمه الآن؟ هل وجد المكان الذي كان يحلم به في ايام شبابه البائس، حيث يستطيـع ان يطفو في مياه لا نهائية ويتقلب فيها دون ان يكون له همّ آخر ؛ في المياه الشاسعة ، النظيفة ، الصامتة ، العميقة؛ يستسلم لها ويغمض عينيه في سلامها الغريب، ويسبح ، ويسبح ، ويسبح ؟